فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْ أَنَرْتَ إِنَارَةٌ،
وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَمْتَ تَمَامُ[١]

فتى يهب الإقليم بما فيه

قال يمدحه وقد خرج إلى إقطاع أقطعه إياه بناحية معرة النعمان:

[الطويل]

أَيَا رَامِياً يُصْمِي فُؤَادَ مَرَامِهِ
تُرَبِّي عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ[٢]
أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ، فِي ثِيَابِهِ
عَلَى طِرْفِهِ، مِنْ دَارِهِ، بِحُسَامِهِ[٣]
وَمَا مَطَرَتْنِيهِ مِنَ الْبِيضِ وَالْقَنَا
وَرُومِ الْعِبِدَّى هَاطِلَاتُ غَمَامِهِ[٤]

---

(١) يتمّ الشاعر فكرته بأن نور الأمير الباهر قد كسف ضياء غيره من الملوك لقوّة إشعاعه، ومن بدر نوره منهم فناقص في مقابل نور الأمير الذي تمّ بضيائه وأنسه ورقّته.

(٢) يُصمي: يُصيب مقتلاً في الرمي. المرام: المطلب. يخاطب الشاعر الأمير والفرح يملأ قلبه منوّهاً بحسن توفيقه، إنه رام من نوع نادر الوجود، فإذا رمى أصمى وأهلك عداه وأصاب مقاتلهم، فمن يرم الإساءة إليه أعادها إلى نحره، ولذا فهؤلاء يجمعون أموالهم وعتادهم ورجالهم لتؤول إليه غصباً واقتداراً فيستعين بها عليهم وينتصر بها.

(٣) ورد البيت في: خزانة الأدب للبغدادي ٣: ٦٧٣، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٢. الإقطاع: ما يقتطع من الأرض استغلالاً لها. الطرف: الفرس الكريم. الحسام: السيف البتّار. يُقرّ الشاعر بأفضال الأمير، إنه يتوجّه إلى ما أقطعه من أرض ينعم بخيراتها ويتصرّف بشؤونها، وقد أنعم عليه بثياب ملكية وفرسه الكريم فأهداه إليه يمتطيه بزهو وفخر، فضلاً عن بيوت للسكن وسلاح يستعين به وقت الملمات؛ فلم يُعوزه شيء في الحياة.

(٤) البيض: السيوف. القنا: الرماح. العبدّى، الواحد عبد. الغمام: السحب المليئة بالمطر. وليكتمل المشهد الاستعراضي أمدّ الأمير الشاعر بعبيد من الروم بأسلحتهم من سيوف ورماح يمشون بين يديه كأنه من الأمراء.

فَـتًـى يَـهَـبُ الإِقْـلِـيـمَ بـالـمَـالِ وَالْـقُـرَى
وَمَـنْ فِـيـهِ مِـنْ فُـرْسَـانِـهِ وَكِـرَامِـهِ(١)
وَيَـجْـعَـلُ مَـا خَـوَّلْـتُـهُ مِـنْ نَـوَالِـهِ
جَـزَاءً لِـمَـا خُـوِّلْـتُـهُ مِـنْ كَـلَامِـهِ(٢)
فَـلَا زَالَـتِ الـشَّـمْـسُ الّـتِـي فـي سَـمَـائِـهِ
مُـطَـالِـعَـةَ الـشَّـمْـسِ الَّـتِـي فـي لِـثَـامِـهِ(٣)
وَلَا زَالَ تَـجْـتَـازُ الْـبُـدُورُ بِـوَجْـهِـهِ
تَـعَـجَّـبُ مِـنْ نُـقْـصَـانِـهَـا وَتَـمَـامِـهِ(٤)

فقال أبو الطيب مرتجلاً:

[الوافر]

رَأَيْـتُـكَ تُـوسِـعُ الـشُّـعَـرَاءَ نَـيْـلاً
حَـدِيـثَـهُـمُ الـمُـوَلَّـدَ وَالْـقَـدِيـمَـا(٥)
فَـتُـعْـطِـي مَـنْ بَـقَـى مَـالاً جَـسِـيـمـاً
وَتُـعْـطِـي مَـنْ مَـضَـى شَـرَفـاً عَـظِـيـمَـا(٦)

---

(١) يمدح الشاعر الأمير؛ إنه فتى اكتملت لديه عناصر الفتوة كرماً، شجاعة، نبل أخلاق، حسباً شريفاً، فمن كرمه أنه يهب الإقليم، الإقطاع بما فيه من حيوان وزروع وقرى حتى الفرسان من حماته وكرام الإقطاع، الكلّ يأتمر بأمر الشاعر ورهن إشارته، إنه الجود بعينه، ورغم ذلك، فقد راح المتنبي يستذل لكافور ليمنحه إقطاعاً يتصرّف به كيفما شاء. لذا لا بدّ من سبب آخر حمل الشاعر على ترك الأمير والارتحال عنه.

(٢) خوّل: وضع تحت يده، ملكه. النوال: العطاء. يتبيّن أن سيف الدولة كان على قدر كبير من الثقافة والمعرفة، لذا يعترف الشاعر بفضله بما يُوحيه له من معانٍ تتمثّل بشخصه أو بما يذكره أمام الشاعر من آراء وأفكار وحكم وقصص، فإذا بالشاعر يصوغها شعراً، فيكون كلاهما مشتركاً في العمل الشعري.

(٣) و (٤) يدعو الشاعر للأمير بالبقاء وطول العمر، فكلّما أشرقت الشمس واجهت وجه الأمير المشرق المنير بطلعته البهية. حتى البدور التي تدور مع الزمن، فيعتريها النقصان والكمال تسعد بنور وجه الأمير الدائم الجمال والكمال.

(٥) و (٦) توسع العطاء: تتبسّط فيه كثرة. النيل: العطاء. لقد جمع سيف الدولة عصبة من =

سَمِعْتُكَ مُنْشِداً بَيْتَيْ زِيَادٍ
نَشِيداً مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيمَا[١]
فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلٰكِنْ
غَبَطْتُ بِذَاكَ أَعْظُمَهُ الرَّمِيمَا[٢]

الجسوم تسقط والأرواح تنهزم

قال وقد تُحدث بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه يعارض سيف الدولة في الدرب وسأله أن ينجده ببطارقته وعَدده وعُدده ففعل فخاب ظنه. أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاث مئة (٩٥٦م) وهي آخر ما أنشده بحلب:

[البسيط]

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَغَى نَدَمُ
مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ[٣]

= الشعراء في عصره لا يُستهان بهم، وممّا أثار إعجاب الشاعر جود الأمير، فإذا به يصبّ الأموال عليهم، ولولا ذلك لما ذكر في أشعارهم، إنهم ساعدوا على انتشار صيته عبر الزمن، ولقد منح المال الجزيل للمحدثين منهم والقدماء، فمن لا يزال إلى جانب الأمير يستزيده عطاءً، ومن رحل عنه، فقد زاده شرفاً عظيماً لارتباط اسمه باسمه الأمير، فكلما أُنشد شعر هؤلاء انتشر صيتهم بانتشار صيت الأمير.

(١) زياد: هو النابغة الذبياني من كبار شعراء العصر الجاهلي ارتبط اسمه بالنعمان بن المنذر اللخمي. فقد استشهد الأمير بشعره، ممّا حمل المتنبي على مدح كلٍّ من الشاعر الذبياني والأمير.

(٢) الغبط: أن يتمنّى المرء أن يكون مثل من غبطه. الرميم: البالي من العظام. يبدي الشاعر إعجابه بشعر النابغة ويقدّر مكانته في عالم الشعر، ولذا تذكّر مكانته الرفيعة التي تبوّأها في عصره حتى خلّده شعره فإذا بالأمير يستشهد بشعره، لذا تمنّى أن يخلد في عالم الشعر كالنابغة الذي تفصله عنه أربعة قرون ونيّف، لذا غبط عظامه البالية.

(٣) العقبى: العاقبة. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بسخرية لاذعة للبطريق الذي أقسم لملك الروم أنه سيلتقي سيف الدولة ويُودي به إلى الهلكة، وقد جرت الأحداث خلاف ما تمنّى فكذّبت ذلك المدّعي فإذا بالأمير يُنزل به هزيمة منكرة. لذا فإن القسم لا يُؤدّي إلى النصر إن كان صاحبه جباناً رعديداً، وقد خيّب اللّه تعالى ظنّه. ومن هنا كانت شماتة الشاعر بذلك البطريق أن القادر على أمر ما ليس من الضروري أن يُقسم، فيجب عليه البرّ بقسمه.